

بقلم أ.د.عبد الله بن عبد العزيز المصلح

أمين عام هيئة الإعجاز العلمي ورئيس التحرير

قراءنا الأعزاء.....

في مختلف بقاع العالم الإسلامي أحياكم جميعا بتحية الإسلام، تحية أهل الجنة، "تحيتهم يوم يلقونه سلام" فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد،،،

فهذا هو العدد الثاني من مجلتكم المباركة -الإعجاز- الذي أعرفكم أنتم مترقبون لصدوره، متلهضون لمطالعتة وتقليب صفحاته، ولست أجاوز الحقيقة إذا قلت إن دعاءكم الطيب وثناءكم الجميل على الإصدار الأول كان لنا زادا في مسيرة إعداده هذا الإصدار.



لن ننسى مشاعركم الصادقة الجياشة عبر رسائلكم المعبرة بحق عن حبكم وإبهاركم لهذه المجلة، واحتضانكم لها منذ لحظة الميلاد.

أحيائي أحدثكم الآن وعلى مكتبي مئات الرسائل من شتى البلدان والأصقاع، ومن مختلف القطاعات القيادية والعلمية والدعوية والثقافية، وكأني بها تبث المداد في قلبي ليسطر لكم أرق وأخلص معاني الامتنان والشكر لتفاعلكم الصادق مع مجلتكم الغراء الإعجاز.

ولما غر فالرسالة التي قد نذرت المجلة نفسها من أجل النهوض بها وتبليغها إلى الناس أجمعين رسالة سامية جلييلة، وفي الوقت ذاته هي رسالة تلح على العقل اليقظ المنصف أن يتأملها؛ ذلك أنها تتعلق بقضية كبرى هي قضية الإعجاز. وربما يتساءل البعض عن سر تلك الأهمية وذلك التفرد الذي يجعل من قضية الإعجاز قضية هامة وقضية كبرى، فأقول إن الله سبحانه وتعالى بعد أن تفضل علينا بنعمة الخلق والإيجاد والرزق تفضل علينا بنعمة أخرى تفوق نعمة الخلق والإيجاد والرزق ألا وهي نعمة الهداية وطرائق إقامة المحجة والبيان حتى يدرك الإنسان الغاية من خلقه والمعبرة من وجوده فالله عز وجل لم يخلق الإنسان عبثا ولم يتركه هملا، إنما اصطفاه لخلافته في الأرض وأناط به مهام ومسؤوليات الاستخلاف وفق ما يريد هو سبحانه وتعالى، لهذا كان لابد من نعمة الهداية، نعمة الدلالة به عليه عز وجل، نعمة الإجابة علي المتساؤلات الحيرى الملهته في ملكوت العقل وأرجائه تبحث عن مرفأ ترسو عليه.

من أنا؟؟ لماذا جئت؟؟ إلي أين المنتهي؟؟

أسئلة حيرت العقل الإنساني منذ بزوغ فجر البشرية ولما تزال وكانت الإجابات تأتي دوما قاصرة عاجزة منقوصة متخبطة ذلك أنها كانت دائما ملتصقة بالأرض، ولم تحاول الاستشراف إلى ما منحها الله من الآيات والعبر كي تتكشف لها المنح الخمس الكبرى:

أولها:

منحة أصل التكوين الفطري على أكرم صورة. وهذه تجعلنا ننظر في صفحات الأديان السابقة على الإسلام لنرى كيف ساهمت تلك الأديان التي طالها التحريف، في إحداث التشويه النفسي للإنسان، فوجود الإنسان الأول خطيئة دم الله عليها وتحليه بالعلم والمعرفة والتميز بين الشر والخير جريمة تستوجب الاستنكار والندم من الله والخطيئة تورث لكل إنسان مأخوذ بجريرة غيره حتى يأتي من لم يرتكب جريرة أو يقترب إثما ليذبح تكفيرا عن تلك الخطايا المتوارثة.

وكان طبيعيا أن ينتج عن تلك النظرة المغالية في الخرافة نظرة الرفض الكامل لكل ما يتسم بأنه ديني لأن كل ما هو ديني - من وجهة نظرهم - محرف يصطدم مع العقل وفي ظل هذه الظروف نشأت النظرة العلمية المادية الميخته التي تصورت أن بإمكان العلم أن يحل كل مشاكل الإنسان ويوقف معاناته، فماذا كانت النتيجة بعد هذه العقود الطويلة؟ أقر فلاسفة الغرب وأساطينه بفشلهم الذريع في التعامل مع النفس البشرية التي توهموها كالدالة، وتفككت الأسرة وتفشت العلل النفسية والاجتماعية ورضوا وبعد عناء طويل من الغنيمة بالإياب.

فماذا عن أصل التكوين الفطري في الإسلام ؟ إنه تكريم ما بعده تكريم وبقاء ما بعده بقاء ( وإن قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين

( سورة ص ص 71. إكرام لنا خطيئة، واصطفاء لنا ازدراء وكل مولود يولد على الفطرة. تلك هي المنحة الأولى.  
المنحة الثانية:

منحة العقل المتدبر لنا العقل المتعطل ؛ ينظر إلى كل ما حوله فيرى فيه هادياً ومرشداً إلى طريق الله والإيمان به ( ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقنا عذاب النار )  
( آل عمران 191. إدراك للغاية والمهدف، وإحساس بالمسؤولية المناجحة عن هذا الإدراك، عندئذ يتشبث الرجاء بأهداب الرحمة فقنا عذاب النار ) لكن الفطرة النقية والعقل المتدبر لنا يمثلان وحدهما إقامة المحجة البالغة على الناس، فبيان الله لأبد وأن يكون كاملاً حتى يكون الثواب والعقاب عدلاً وهنا تأتي.

المنحة الثالثة:

إرسال الرسل ومنذ وجود الإنسان على ظهر الأرض والرسالات تتعاقب وتتوالى إرشاداً وهداية للناس حتى تقام المحجة ويكتمل العدل ) وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا  
( وطبيعي أن يأتي الرسل المصطفون من الله لتبليغ رسالاته بدستور ينظم للناس أمر معاشهم ومعادهم فكانت.  
المنحة الرابعة:

منحة الكتب والأسفار المتضمنة للشرائع والأحكام والأخلاق والنظم الحياتية وفق علم الله الأزلي بما يصلح حياة خلقه ( لا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير  
( ولكي تحمل تلك الكتب صفة الربانية كان لابد لها من دلائل وبيانات تبرهن على أنها من عند الله عز وجل ولكي تحمل تلك الكتب صفة الربانية كان لا بد لها من دلائل وبيانات تبرهن على أنها من عند الله عز وجل.  
المنحة الخامسة:

وهي الإعجاز التي جاءت تتويجاً للمنهج الأربع السابقة.

وفي هذا يقول المصطفى ما من نبي إلا وقد آتاه الله ما مثله آمن عليه قومه أي ما يجعل قومه يؤمنون به ويعلمون أنه من عند الله.

وهكذا نجد أن الله قد أعطى إبراهيم عليه السلام معجزة برد وسلامة النيران التي ألقوه فيها ليحرقوه، كما أتى موسى بمعجزة انفلاق البحر بالعصا وابتلاعها لحبال السحرة التي تخيل للناس من سحرهم أنها تسعى - في زمن اشتهاه السحر - كما أعطي عيسى عليه السلام إبراء الراكمة والأبرص وإحياء الموتى في زمن اشتهاه الطب وكل هذه المعجزات كما نرى معجزات حسية تراها الناس وقت حدوثها فقط، فلما جاء محمد ليختم الله به الرسالات كان لابد لمعجزته أن تكون مستمرة متجددة عبر الأزمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها » وإذا كنا قد أسلفنا القول عن المنح الإلهية الخمس للهداية الربانية فإن الله سبحانه وتعالى اختص نبيه محمداً كذلك بصنوف خمسة من الإعجاز 1- الإعجاز المادي أو الحسي، 2- الإعجاز البياني، 3- إعجاز الهداية، 4- الإعجاز التشريعي وخامسها تاج الإعجاز العلمي.

أما أولها

وهو الإعجاز الحسي أو المادي فكتب السنة تذخر بعديد من هذه المعجزات على غرار ما أيد الله به الأنبياء السابقين كنبع الماء من بين أصابعه المشريفتين، وسقيه لما يقارب الألفين وذلك في غزوة تبوك وغزوة صلح الحديبية

وكذلك تسبيح المحصى بين يديه، وحنين الجذع إليه وغير ذلك وهو باب واسع جدا أفاضت فيه كتب السيرة.

ثاني هذه الصور:

الإعجاز البياني وفيه تحدى الله أساطين البيان من قريش أن يأتوا حتى بأية مثله فجزوا ولم يقدرُوا.

ومعلوم أن أرباب البلاغة من قريش كانوا يتواضدون ليلاً حول بيت الرسول ليستمعوا القرآن وحينما كانوا يتلاقون كانوا يتناهون عن المجدى ثم يعودون لروعة بيانه وعظمة بلاغته، وكانوا يقولون لبعضهم لو رآكم سفهاء قريش لفتنوا.

وقد كشف الله لنبيه عن طوية قلوبهم ( ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول  
( المجادلة 8. ) فإنهم تكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون  
( الانعام 33).

النوع الثالث:

إعجاز الهداية وهو تجاوب النفس البشرية مع طبيعة هذا الدين ومنطقته، ولما أدل علي ذلك من إقبال المصريين علي الإسلام في زمن عمرو بن العاص حين فتح مصر ورفع الظلم عن الأقباط وتاريخ الصراع بين الكاثوليكية والإرثوذكسية مسجل في صفحات التاريخ، وكلم من الأرسوذكسيين أهدرت دماؤهم على أيدي الكاثوليك حتى كان الخلاص لهم علي يد عمرو بن العاص وتسابق الجميع إلى

الإسلام لما عرفوا من فطريته وعقدانيته،

ولعل في قصة ابن القبطي وابن عمرو بن العاص الشهيرة والمقصاص من عمرو بن العاص وابنه لصالح القبطي علي يد الخليفة عمر بن الخطاب أوضح الأمثلة على تفرد هذا الدين بإعجاز الهداية

ولولا فطرية هذا الدين لما توقعنا أن نراه ينتقض مرة أخرى، ويهب واقفاً من تحت أنقاض الشيوعية الملحدة بمجرد أن انزاح الكابوس الذي جثم على الصدور قرابة سبعين عاماً عن شعب روسيا إنها الفطرة

النوع الرابع:

الإعجاز التشريعي وهو ما أودع الله في كتابه وسنة نبيه من بيان الممارسات في صناعة الحياة « أي كيف نصنع الحياة بعلاقاتها المتضاربة المتداخلة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وتعديلاً. وكم رأينا وسمعنا كبار علماء الغرب يشهدون للتشريع الإسلامي بالتفرد في حل المشكلات المستعصية على مستوى الاقتصاد أو المعاملات وغيرها

ننتقل بعد ذلك إلى النوع الخامس من أنواع الإعجاز وهو الإعجاز العلمي - موضوع هذه المجلة المباركة - الذي سوف أترككم الآن في رحابه على أمل أن تجمعنا لقاءات قادمة نتناول فيها بشيء من التفصيل كل صورة من تلك الصور الإعجازية المبهرة وحتى نلتقي لكم أطيب تحياتي.